الصفات مبناها ومعناها

الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

من النقاد مَن إذا عمد الى التخطئة والتصويب ، فيما يمكن أن يردّ إلى قياس ، احتج له بمثال ورد في قول معتمد ، كآية أو حديث أو نصّ في معجم أو مَثَل أو شعر ، ولم يعرض فيه لضابط يمكن النسج على منواله ، أو قاعدة تميّز مقيسه من شاذّه .

من ذلك ما يُخطَّأ به الكتاب في صوغ الصفة المشبهة ،وتحقيق ما يُراد بها من معنى ، والتمييز بينها وبين اسم الفاعل من حيث الدلالة والمبنى . فلا يُعنى في ذلك أن يُشار الى موضع الخطأ فيكشف عنه ، ثم يُنبه على الصواب فيذكر شاهده ، بل لا بدّ فيه من حدّ دلالته وبيان قياسه وايضاح وجهه ومنهاجه ليكون معياراً لما يرد عليه من أمثاله . فقد عرّف علماء الصرف الصفة المشبهة فقالوا : هي اللفظ المصوغ من اللازم للدلالة على معنى قائم بالموصوف ، على وجه الثبوت لا الحدوث . وعرّفوا اسم الفاعل فذكروا أنه اللفظ المصوغ من الفعل المعلوم للدلالة على معنى وقع من الموصوف أو قام به على جهة الحدوث لا الثبوت .

ويتبيّن من ذلك أن ليس المهم في هذا الباب ضبط الصيغة في الصفة المشبهة ، سماعاً أو قياساً ، أو حدّ البناء في اسم الفاعل طرداً أو شذوذاً ، وذكر الناظم في كل ذلك . وإنما الغرض الى هذا ، التماس الفارق بين دلالة الصفة المشبهة واسم الفاعل ، وما يَنِمّ عليه صيغة كل منهما . ثم تعرّف الصلة بين هذه الصيغة ولزوم الفعل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتعدّيه ، ذلك طلباً لاستعمال اللفظ منهما فيما أريد له من الدلالة على وجه التعيين . ولنعمد الى شرح ما أثبته الأئمة في ذلك . ولنأتِ بأمثلة تُبين عن القصد الذي نحونا اليه .

تتميّز الصفة المشبهة بأمور ثلاثة مهمة . الأول أنها صيغة تدل على الثبوت . قال الرضيّ في شرح الكافية حول تعريف اسم الفاعل (٣/١٩٨) : (وقوله معنى الحدوث يُخرج الصفة المشبهة لأن وصفها على الاطلاق لا على الحدوث ولا الاستمرار . وإن قُصد بها الحدوث رُدّت الى صيغة اسم الفاعل) . وقد أورد الرضيّ (الإطلاق) مورد (الثبوت) لأن الثبوت ليس مقيداً بزمن دون آخر ، فوُسم بالإطلاق خلافاً للحدوث فإنه مقيّد بزمن ، وسيأتي شرح ذلك فيما بعد .

الثاني : أنها صيغة تُشتق من فعل لازم . قال ابن الحاجب في الكافية (٣/٢١٥) : (الصفة المشبهة ما اشتُق من فعل لازم لمن قام به على معنى الثبوت) . فإن قُصد اشتقاقها من فعل متعدّ وجب البحث عن لازم تردّ إليه . قال صاحب الكليات (٣/٩٣) : (الصفة المشبهة تجيء أبداً من اللازم فإذا أريد اشتقاقها من المتعدّي يُجعل لازماً بمنزلة فعل الغريزة ، وذلك بالنقل الى فَعُلَ بالضمّ ثم تشتق منه ، كما في رحيم وفقير ورئيم)[1] .

الثالث : أنه يمكن العدول بها عن أصلها في الثبوت ليُدلّ بها على الحدوث جارية مجرى الفعل . وذلك بتحويل صيغتها الى اسم الفاعل . قال الزمخشري في المفصّل (٦/٨٢) : (وهي ، أي الصفة المشبهة ، تدلّ على معنى ثابت فإن قُصد الحدوث قيل حاسن

---

(١) وجاء في تقريري الانبابي والرفاعي تعليقاً على قول الصبان ـ أي من مصدر لازم اصالة او عروضاً ـ قوله عروضاً لا يناسب كلام الجمهور ... اذ المعتبر عندهم اللازم اصالة (حاشية العلامة الصبان على شرح العلامة الاشموني على الفية ابن مالك ـ ٣ / ١٣٨) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الآن أو غداً ، وكارم وضائل . ومنه قوله تعالى : وضائق به صدرك) . قال ابن يعيش في شرحه (٦ / ٨٣) : (فإن قصد الحدوث في الحال أو ثاني الحال جيء باسم الفاعل الجاري على المضارع الدال على الحال أو الاستقبال . وذلك قولك هذا حاسن غداً أي سيحسن وكارم الساعة . ومنه قوله تعالى : فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ـ هود / ١٢ ـ أي بلغ ما أنزل اليك بصدر فسيح من غير التفات الى استكبارهم واستهزائهم . وعدل عن ضيق الى ضائق ليدل على أنه ضيق عارض في الحال غير ثابت ..) . ومعنى ذلك أنه اذا جاءت الصفة من حَسُنَ وكَرُمَ وضاق على حَسَنٍ وكريمٍ وضَيِّق ، فلا معدل عنها اذا أريد بها الثبوت ، كما هو شأنها في الأصل ، فإن خُرج بها عن الأصل وعُني بها الحدوث كما تعنيه أفعالها في الحال أو الاستقبال ، قيل حاسن وكارم وضائق . وذلك سبيل كل صفة مشبهة قياسية كانت أم سماعية .

هذا عن دلالة الصفة المشبهة وشرط اشتقاقها . أما عن مبناها فإنها تصاغ ، كما مر ، من اللازم ولا تصاغ من المتعدي . وهي تأتي من (فَعِلَ) على صيغة (فَعِلٍ) كفرحٍ للأدواء الباطنة والأعراض وعلى (أفعل) كأحمر وأعور اذا كانت للألوان والعاهات ، وعلى (فعلان) كشبعان وريّان اذا كانت للامتلاء وضده . كما تأتي من (فَعُلَ) على (فَعُلٍ) كضخم ، وعلى (فعيلٍ) كجميل وكريم . هذا هو الغالب . (وفعيل الصفة المشبهة هذا ، غير فعيل الذي هو بمعنى مفعول كجريح بمعنى مجروح ، فهذا على معنى الحدوث كاسم المفعول وهو من متعدٍ ، وذاك على معنى الثبوت صفة مشبهة ، ومن فعل لازم . وهو غير فعيل الذي للمبالغة لأن هذا لإيقاع الحدث من متعدٍ على جهة التكثير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بمعنى الفاعل كعليم . وكرحيم عند من رأى أنـه للمبالغة كما ذكره ابن يعيش في شرحـه (٦ / ٧٠) وابو البقـاء نفسـه في كلياتـه (٢ / ٣٧١) ، وكنذير معدولا به عن منذر وأليم عن مؤلم . وهـو غير فعيل الذي بمعنى المفاعل كالجليس والأكيل للمجالس والمؤاكل . فهما ليسا صفة مشبهة ، وليسا للمبالغة فإنهما لا يعملان باتفـاق) .

وأما اسم الفاعل فيتميز بأمرين : الأول انـه صيغة تدل علـى الحدوث . والثاني أنه يصاغ من المتعدي واللازم . وأمـا مبنـاه فإنه على (فاعل) من الثلاثي . وعلى زنـة مضارعه بإبدال أولـه ميماً مضمومة وكسر ما قبل آخره ، في غير الثلاثي . وهو يصـاغ من (فَعَل) متعدّيـاً ولازماً كضارب وقاعـد ، ومن (فَعِلَ) متعدّيـاً كشارب ، هذا هو الغالب عند الأكثرين .

وقد يظل اسم الفاعل (اسم فاعل) ولو دلّ علـى الثبـوت مراعاة للأصل وذلك :

أولا ، حين يؤتى به من (فَعِلَ) اللازم ، على غير قياس . نحو سالمٍ من سَلِمَ سلامة ، وتاعس من تعس ، وتافه من تَفِه ، وتالف من تلف ، وخاطىء من خطئ ، وهكذا .

وثانياً حين يُصاغ من (فَعِلَ) اللازم الذي يخرج على صورة المتعدّي بحذف الجار ، فقيل (سخطـه) بمعنى سخط منه فهـو سـاخط ..

وثالثاً : حين يستوي فيه المذكر والمؤنث كرجل بالغ وامرأة بالغ ، ورجل خادم وامـرأة خادم . والتحقيق أن ما جاء علـى (فاعـل) واستوى فيه المذكر والمؤنث ، ليس صفة مشبهة ولا اسم فاعل ، وإنما هو صفة ثابتة على (النَسَب) ، وسيأتي تفصيل ذلك في الكلام على (عَشِقَ) وصفته . وقد يـدلّ اسم الفاعل ، على ما يشـبه الثبوت ، فيقرب من الصفة المشبهة ، بأن يفيد (الاستمرار المتجدد)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إذا نُصِبَ المفعول به ، أو أضيف اليه ، كقولك (زيدٌ مكرمٌ ضيفَه) أو (زيدٌ مكرمُ ضيفِهِ) أو (مكرم الضيفان) كما أوضحه اليازجي في (نار القرى) • وقد يعد صفة مشبهة فيدل على الثبوت بقرينة اذا أضيف الى مرفوعه ، كقولك (خالد معتدل القامة ، مستدير الوجه ، شامخ الأنف ، طاهر القلب) •

ذكرنا ما ذكرناه لنخلص منه الى بحث ما ثار حوله خلاف الناقدين في بعض الصفات وحدّ مبانيها وتصوّر دلالاتها •••

(١)

فقد جاء (آسِفَ) لازما على (فَعِلَ) كـ (تَعِبَ) • وما كان على هذه الزنة من اللازم أتت منه الصفة المشبهة على (فَعِلٍ) ، وذلك في الأدواء والعيوب الباطنة وما دلّ على هيجان وخفة غالبا ، وعلى (فعيل وفعلان وفعول) قليلا • وقد جاء في المعجم (أسِف وأسيف وأسفان وأسوف) على (فَعِلٍ وفعيلٍ وفعلان وفعول) • ولكن هل جاء منه (آسف) على فاعل ، وما دلالته ؟

قال الأستاذ محمد العدناني في معجمه (الأخطاء الشائعة) : (ولكن ذِكْر آسِفٍ مرتين في القرآن الكريم ، وإهمال الاساس والمصباح والمحيط والصحاح ذكر آسِفٍ لا يعني أنه لا يوجد في العربية) • وقصد الأستاذ العدناني بما ورد من (آسِفٍ) في القرآن الكريم ، قوله تعالى (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسِفا ــ الأعراف / ١٥٠) و (فرجع موسى الى قومه غضبان أسِفاً ــ طه / ٨٦) •

أقول الأصل أن يصاغ (فاعل) من فَعِلَ المتعدّي لا اللازم• ففَعِلَ اللازم تأتي الصفة منه على فَعِلٍ لا فاعل • لكنه سمع فاعل من أسِفَ فقيل آسف • وقد أثبته اللسان والتاج ، وحكاه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عنهم صاحب المتن وصاحب الإفصاح في فقه اللغة . قال ابن منظور (فهو أسيف وآسفان وآسف وأسوف وأسيف) . فما وجهه وتخريجه ؟

أقول اما أن يُحمل (آسف) من أسِفَ على الشذوذ فيكون كسالم من سَلِمَ . وكلاهما على الثبوت . ومن هذا القبيل نادم من ندِمَ . وهو بمعناه . ففي المخصص لابن سيده (١٣ / ١٣٧) : (نَدِمت على الشيء نَدَماً ونَدامة وتَندمت : أسِفت . ورجل نادم ونَدمان سَدمان ونَدْمان سُدْمان ونَدامَى سُدامَى . ونَدامى سُدامَى) . وفي اللسان (وقلما يفرد السدم من الندم . ورجل نَدِمٌ نَدِم) .

وقال البحتري :

أقضي رضانا ان يَغُضَّ حسودُه
من الغيظ منه كفُّ غضبان آسف

فآسف ها هنا وقد قرن بغضبان . صفة مشبهة على الثبوت .

وإما أن يُحمل (آسِف) على (حاسِن) فيما أورده الزمخشري وابن يعيش وابن الحاجب والرضي ، وفضله ابن عصفور والسخاوي كما اثبته الفيومي في المصباح . وذلك حين تحول الصفة المشبهة عن اصلها الدال على الثبوت الى وصف حادث فيكون (آسِف) للحدوث معدولاً به عن (اسِفٍ) للثبوت . وعليه قول الشاعر :

فيا عجباً من آسِفٍ لا يرى ثوى
وما هو للمقتول ظلماً بآسف

وقد جاء في (خزانة الحماسة) واستدل به الاستاذ العدناني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على تعدي (أسِفَ) باللام . وعندي أن (آسفاً) ها هنا للحدوث دون الثبوت . وكأن مراد الشاعر لو نثرت البيت (فيا عجبا بمن يأسف لامرىء حين يموت ولا يأسف للفضول حين يقضي ظلما) .

هذا ولا مجال لحمل (آسِفٍ) على (ساخط) لأن هذا من (سخطه) الذي بمعنى سخط منه . وليس ثمة (أسِفَهُ) البتة .

(٢)

أما (آنَفَ) وصفته فقد قال الشيخ ابراهيم اليازجي : (ويقولون يأنف الكريم هذا الامر القبيح .. والصواب يأنف منه .. لأنه يقال : آنِفَ يأنَفُ أنَفاً وأنَفَة من العار : ترفّع وتنزه عنه . وأنف الشيء كرهه ..) ، وقال (ويقولون هذا أمر يستنكفه كل أبي النفس . والصواب أن يُعدّى بمن فيقال : يستنكف منه . ويرتكبون الخطأ نفسه في الفعل انف فيقولون : أنِف مجاراتهم في هذا الامر . والصواب أنف من مجاراتهم) . فأنت ترى أن اليازجي أنكر (أنفه) بمعنى (ترفع عنه) وأقره بمعنى (كرهه) . وعندي أن ليس ما يمنع من قولك (أنف مجاراتهم) على حد اليازجي نفسه لأنه قد يعني كره هذه المجاراة . وعند الأستاذ أسعد خليل داغر الى حظر تعدية الفعل بنفسه وقضى باستعماله لازماً في كل سياق . وعرض الدكتور مصطفى جواد في كتابه (المباحث اللغوية في العراق) لما نحن فيه . فحاول أن يلتمس للمادة الأفعال ولزومها ضوابط لا تنكسر ، فقال ، ومنها (جواز تعدي ـ فَعِلَ يَفعَلُ ـ لغير العيوب والعاهات الظاهرة ـ بنفسه وبحرف الجر . مثل آمِنَ منه وأمنه ، وخاف منه وخافه ، وخشي منه وخشيه ، وأنف منه وأنفه ... ولذلك لم يكن من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ـواب تخطئـة الشيخ ابراهيم اليازجـي حين قال : هذا آمـر يانعه الكريـم) • ويتبين من كلامـه أنه أجـاز تعدية ـ أنف ـ ـ ه ، دون البحث في معناه ؛ بل أساغ في كل ما كان علـى ـ فَعِلَ يفعَل ـ أن يكون متعديا ولازما ، اذا جاء لغير العيـوب والعاهات الظاهرة • وقد أشرنا الى مباينة هذا القول لحقيقة الأمر في فصل عقدناه في مجلة التراث العربي (لشهـر أيـار ١٩٨٠) • قلنا : (أقول ان ما ذهب اليه الأستاذ جواد لا يطرد ولا يغلب فاذا طرحت العيوب والعاهات الظاهرة من معـاني الباب الرابع ـ باب فَعِلَ يفعَل ـ فقد بقي منه ما كان للأعراض الباطنـة من الألـم والهيج والخفة وسواها • وهي تشمل ما دل على فرح أو حـزن وما يجري مجراهما ، نحو وَجِلَ ونَكِدَ وشَكِسَ وخزي وغضب وحمش وقلق وحـار وأشر •• وكلها لازمة لا تتعـدى بنفسها • فوضح بهذا أن لا محل ها هنا لقياس في جواز تعدي فَعِلَ يفعَل ولو كان لغير العيوب والعاهات الظاهرة •••) • فما الرأي بعد هذا في تعدي ـ أنِفَ ـ ولزومه ، وما معناه فيهما ؟

أقول قد تشعبت آراء العلماء في ذلك وتباينت مذاهبهم على وجـوه :

الأول : أن الفعل لازم ومعناه الاستنكاف والتنزه أو الغضب والحمية • وقد قال بهـذا الهذلي في اللغاه وابن القوطية فـي أفعاله وابن فارس في مقاييسه والجوهري في صحـاحه والراغب في مفرداته والزمخشري في أساسه • فما الذي حمل هؤلاء على الاجتزاء بلزوم الفعل واغفـال تعديه وقـد نُصَّ عليه ؟

أقول قد دل على ذلك الزمخشري ولم يلتفت الى قوله ، فقد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جاء في الأساس : (وأنِفَ من كذا . ألا ترى أنهم قالوا : الأَنَف في الأنف ، والمؤمن كالجمل الأَنِف) ، فما صلة (أنف منه) بقولك (أَنِف) في الصفة و (أَنَف) في المصدر ؟

نص الأئمة أن الصفة من (فَعِلَ) اللازم تأتي على (فَعِلٍ) اذا دل معناه على داء أو عيب باطن أو هيجان أو خفة ، كما قالوا ان الصفة اذا كانت على (فَعِلٍ) دلت على أن فعلها لازم غير متعد ، والى هذا أشار الزمخشري حين قال (وأنِف من كذا ألا تراهم قالوا الأَنَف في الأنف ، والمؤمن كالجمل الأَنِف)، وتفسير قوله : تقول (أنف منه) على اللزوم ، ولا تقول (أنفه) على التعدي ، ألا ترى ان الصفة منه على (أنِفٍ) والمصدر على (أنَف) ، فهذا يوجب ان تكون الصفة قد اشتقت من لازم .

وقد فصل النحاة فقالوا : انه كلما أمكن أن تصوغ (فاعلا) من (فَعِلَ) ، فالفعل (متعدٍ) أو في حكمه وان كان لازماً ،هذا هو الغالب ، فاذا صح أنِف" فإنه من أنِف منه ، أو ثبت آنف"بالمد على فاعل فانه من أنفه ، واذا جمعوا بين أنِفٍ وآنف فقد ثبت أنِف منه وأنفه ، وحكى ابن سيده في المخصص قول أبي علي (١٤ / ١٤٠) : (اعلم أن فَعِلَ اذا كان اسم الفاعل منه على فاعل فهو يجري مجرى ما يتعدى وان كان لا يتعدى) .

وليس هذا وحسب فقد ذهب النحاة أن المصدر الغالب من فَعِلَ يفعل اذا كان لازما هو (فَعَل) بالتحريك ، فقولك في المصدر (أَنَف) دليل على لزوم فعله ، قال ابن يعيش في كلامه على مصادر الثلاثي (٦ / ٤٥) : (ومنها فَعَل قالوا عَمِلَ عَمَلاً ، وقال سيبويه أجروه مجرى الفرع لأن بناء فعلهما واحد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فشُبِّه به . وذلك أنه الباب في فَعِلَ الذي لا يتعدّى اذا كان فاعله يأتي على فَعِلٍ ... شبهوا ما يتعدى بما لا يتعدى ..) . فقد لاحظ سيبويه أنه ليس ينبغي لـ (عَسِلَ) ، وهو متعد ، أن يأتي مصدره على (عَسَلٍ) في الأصل فقال انه شُبِّه بفَعِلَ اللازم . وقد أخذ بهذا الرازي في مقدمة مختار الصحاح فأقر غلبة ، (فَعَلٍ) بالتحريك على مصدر اللازم من فَعِلَ . وذكره السيوطي في همعه (٢ / ١٦٧) ، وجرى عليه ابن مالك . ومن ثم وضح كلام الزمخشري في ان قولك (أَنِفٌ) في الصفة ، و (أَنَفٌ) بالتحريك في المصدر ، شاهد بلزوم الفعل .

وقد جاء في الاشتقاق لابن دريد : (الأَنِفُ من الأَنَف) بالتحريك فاقترن فيه فَعِلٌ الصفة بفَعَلٍ المصدر أيضاً . ودلا على لزوم الفعل .

وذهب الزمخشري هذا المذهب في كتابه الفائق أيضا فأكد الصفة على (أَنِفٍ) وأباها على (آنف) بالمد كفاعل . فقال حول الحديث (المؤمنون هَيِّنون لَيِّنون كالجمل الأنِف ان قيد انقاد وان أُنيخ على صخرة استناخ) : (أَنِفَ البعيرُ اذا اشتكى عقر الخشاش أنفُه فهو أنِفٌ ، وقيل هو الذلول الذي يأنف من الزجر فيعطي ما عنده ويسلس لقائده) وأردف (وقال أبو سعيد الضرير : رواه أبو عبيد كالجمل الآنف بوزن فاعل وهو الذي عقره الخشاش ، والصحيح الأنِف على فَعِل كالفَقِر والظَهِر) .

وقد يكون فريق ممن اكتفى بلزوم الفعل قد آثر ذكر الأصل، وهو (أنف منه) واجتزأ به فلم يتجاوزه الى (أَنِفَه) لأن هذا فرع عليه وذو دلالة اخرى ، كما يتبين بعد حين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الوجه الثاني : أن الفعل لازم ومتعد . فإذا كان الاول كان معناه التنزه عن الأمور والاستنكاف أو الغضب والحمية ؛ أو كان الثاني تضمن الفعل معنى الكراهية والاجتواء . فقد جاء في اللسان (ورجل حِمِيٌّ الأنف اذا كان أنِفاً ، يأنف ان يضام ، وأنِفَ من الشيء حمي) . وهو المعنى الذي اجتزأ به من قال بلزوم الفعل كالزمخشري ومن سبقه . وجاء في اللسان قوله (وأنِف الطعام وغيره أنفاً كرهه) . وقوله (وأَنِفتُ فرسي... هذا البلد اجتويته وكرهته) . فأتى به على التعدي ومعنى الكراهية . وأكد ذلك فقال (وقد آنف البعير الكلأ اذا أجمه) . وأجمه كرهه ، قال الجوهري (أجمت الطعام بالكسر اذا كرهته) . أقول هذا ما حمل اليازجي ان يفرق بين معنى الفعل لازما ومعناه متعدياً فيجعل كلاً على معنى .

وقد يسبق الى الخاطر قول قائل ، وهل ثمة فارق بين الدلالتين فيعني التنزه عن الأمر والاستنكاف منه شيئا غير الكراهية يقينا ؟ أقول تختلف الدلالتان فيما تعنيان وتقصدان اليه ، فاذا قلت تنزهت عن الامر وحميت منه فقد عنيت أنك ابتعدت عنه ترفعاً وتكرما . ولا يعني هذا بالضرورة أنك كرهته . فأنت قد تعاف البلد ولا ترفع عنه . وبتسمح الأئمة حينا فيترخصون ويأتون بما يجاور المعنى أو يناظره . فالإباء عند الجوهري وابن الأثير والفيومي هو الامتناع أو أشده ، وهو عند آخرين غير هذا . قال ابن القوطية : (أبيت الشيء ابايةً وإباءً كرهته) ،وانت قد تكره الشيء فتأباه ، لكن الإباء غير الكره . فإذا أبيت الضيم فإنك لا تكرهه فحسب فالناس كلهم يكرهونه ولا يرتضونه ، ما صح فيه خيار ، لكنك اذا كنت أبيّاً امتنعت عن احتماله أشد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الامتناع فتصونت عن المذلة ولـم تصبر على هوان أو تُقِم عـلى صغار ، والفارق بين جلي .

والذي عندي بعد الذي قدمناه أن الاصل في (أنِف) هـو اللزوم على معنى التمنع والتنزه والاعتزاز والحمية ، والصفة منـه (أَنِف) على الثبوت . والعرب قد صيرّت الأنَفَةوالإباءوالاعتزاز والحمية الى أرومـة وجعلت منها صفات ثابتة لا عارضـة ،فكانت ان اتسم بها غريزة وديدنـاً ، ومرتبة هي موضع مفاخرة ومنافرة . فانظر الى قول الشنتمري شارح أبيـات الكتـاب (١ / ٥٩) : « وصف قومـاً بالعزة والكرم فيقول هم شمّ الأنوف أعـزة ؛ فجعل الشمم كنايـة عن العزة والأنفـة ؛ كما يقال للعزيز شـامخ الأنف ، وللذليل خاشع الأنف » . ويشد هذا ويؤيده قول ابـن فارس في المقاييس : (وأما قولهم انف من كـذا فهو من الأنْف ، وهو قولهم للمتكبر ورم أنفُه بذكر الأنف دون سائر الجسـد ، لأنه يقال شمخ بأنفه ، يريد رفع رأسه كبـراً ..) . ونحو مـن هذا ما حكاه ابن سيده عن ابن جني في المخصص (١٣ / ١٢٠): « الغضب مشتق من غَضَبة الرأس وهي جلدته ، أي صار حمْيُ قلبه الى جلدة رأسه ، كما قيل أنِفَ اذا حمي أنفه غضبا » . ومـا قاله من ذلك المرزوقي في شرح الحماسة (١ / ٣٣٩) : (ونسـب الأَنَفَة الى الأنْف كما ينسب الحمية اليه . يقال هو أحمى أنفـاً من فلان ، وآنف أنفـاً منه ، وحمى فلان أنفه من كـذا أي أنف منه ولم يرض به ، وحسن في الكنايـة عن الإباء والتصون عـن الدناءة والمذلة) . وما سبق أن حكيناه عن الزمخشـري فـي أسـاسه .

الوجه الثالث : أن يكون (أَنِفَه) كأنف منه على معنـى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التمنع والإباء دون معنى الكره . فتأتي الصفة منه على آنف كساخط من سخطه بمعنى سخط منه . قال المرزوقي في شرح الحماسة (١ : ٤٣٦) : (... عالما أن مثله لا يرضى به عزيز ، ولا يلتزمه آنف ....) : أفلا ترى ان (الآنف) في ذلك بمعنى الأبي العزيز صفة ثابتة . وقد يحمل (آنف) هاهنا أيضا على انه صفة من (أنف منه) على غير قياس كآسف من أسِف ونادم من نَدِم . وجاء عابد من عَبِد اذا غضب أشار اليه ابن القوطية وصاحب المخصص والنهاية والمصباح . لكن ما سُمع من استعمال الفعل متعديا بمعنى اللازم يدعو الى حمله على (سخطه وسخط منه) . فانظر الى قول يزيد بن الحكم الثقفي :

تبسو يداه اذا ما قلّ ناصره
ويأنف الضيمَ ان أثرى له عدد

وقول لسان الدين الخطيب :

قالوا لخدمته دعاك محمّد
فأنفتها وزهدت في التنويه

وقول وهب بن الحارث :

لا تحسبني كأقوام عبثت بهم
لن يأنفوا الذلّ حتى يأنف الحُمُر

الى غير ذلك مما استظهر به الأستاذ جواد لتعدية الفعل ، فإن (أنفه) فيها على التعدي لفظاً لا معنى . فهو على معنى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(الإباء) الذي ثبت للفعل اللازم ، وليس على معنى (الكراهية) الذي ثبت للفعل المتعدي حقا .

فقد جاء فيها (يأنف الضيم) و (أنفتها) و « لن يأنفوا الذل » على حذف الجار بتقدير (يأنف من الضيم ، وأنفت منها ، ولن يأنفوا من الذل) . ولو كان التأويل فيها على (أنفه) المتعدي حقاً بمعنى (كرهه) لشاه القصد . والا فأي فخر بل أي عزة في أن تكره الضيم وتعاف الذل والناس تجتويهما بالفطرة والطبيعة !

بقي ثمة سؤال آخر ، ألم يأت في نصوص الأيمة من (أنف منه) ما هو بمعنى (كرهه) . فإذا خصصنا هذه الدلالة بالمتعدي الحقيقي فعلام تحمل هذه النصوص ؟ أقول قد تقدم من ذلك قول أبي زيد في اللسان (وأنفت من قولك أشد الأنف اي كرهت ما قلت لي) . ولكن أليس التحقيق فيه أن يفسر بـ (غضب) فيقال (أنفت من قولك أشد الأنف أي غضبت) فيكون على وفق ما ذكر من معاني (أنف منه) ؟ .

ومثل هذا ما جاء في اللسان أيضاً (فحمي من ذلك أنفاً ، وأنِف من الشيء يأنف أنفاً اذا كرهه وشرفت عنه نفسه ، وأراد به هاهنا أخذته الحمية من الغيرة والغضب) أفلست ترى انه قرن أنف منه بأنفه وحمي منه بكرهه وهما مختلفان فاستدرك واكد ان حمي منه بمعنى أخذته الحمية في الغيرة والغضب فشرفت نفسه عنه ؟ وأقرب ما يحمل عليه تفسير الأئمة هاهنا . أنه تسمح وتجوز ، لأن الإباء والحمية غير الكره ، ووصفك بالإباء والعزة ثابت ووصفك بالكره عارض ، ولكن قد يتسبب احدهما عن الآخر فيكون تالياً له جاريا في اثره ، ومن هنا تجاور المعنيين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وخلاصة القول في (أنِف) أنه على معنى (استنكف وتصون أو حمي وغضب) ما دام لازمـا ، وهـذا هو أصله ، فإذا اتفـق منه ما هو متعـد على هذا المعنى فهو على حذف الجار والتعدية اللفظية . أمـا اذا أتى وقد أشـرب معنى (كـره) علـى سبيل التضمين ، فهو متعد البتة .

(٣)

وقالوا (فَرِق منه وفَزِع منه) كما قالوا بمعناه(فرقه وفزعه)، وأولوا ذلك بحذف الجار . ففي شرح الشافية للرضي (١ / ٧٣) (وأما قولهم فرقته وفزعته فقال سيبويه هو على حذف الجـار ، والأصل فرقت منه وفزعت منه) . وقد جعلوا الصفة منهما (الفَرِق والفَزِع) ولم يقولوا (الفارق والفازع) . ذلك انهم اعتدوا (فرق منه وفزع منه) ، ولم يعتدوا (فرقه وفزعه) اذ جاءا نادرين وانكرهما كثيرون . قال ابن قتيبـة في أدب الكاتب (وتقول فزعت منـك وفرقت منك ولا يقال فرقتك ولا فزعتك ، ويقال خشيتك وهبتـك وخفتك) . قال الجوهري في صحاحه (وقد فَرِق بالكسر تقول فرقت منك ولا تقـل فرقتك) وقـال (وفزعت منـك ولا تقـل فزعتك) .

على أنه جاء (فزعه) بمعنى (أغاثـه) ، وقد اعتد ابن بري أصله (فزع لـه) ثم حذف الجار ، كما جاء في اللسان ، والصفة منه (فَزِع) على الأصل الذي هو (فَزِع له) ،و (فازع)على (فزعه) الذي تفرع عليه ، وكلاهما صفة ثابتة . أما (فـازع) من (فزعـه) بمعنى (أفزعه) ، فإنـه اسم فاعل على الحدوث .

كذلك (جزع منـه) فقد جاء لازمـاً واتفق منه (جزعـه)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بمعناه أيضا . قال ابن جني : انه على حذف الجار . أي على معنى اللزوم . ففي سر الصناعة (١ / ١٥٣) : (فأما قولهم فَرِقته وفَرِقت منه ، وجَزِعته وجَزِعت منه . فأصلهما أن يتعديا بحرف الجر ، وانما يحذف تخفيفا . يدل على ذلك أن فرقت وجزعت أفعال غير واصلة بمنزلة بَطِرت وأشِرت ...) .

وقد قالوا في الصفة (جَزِع") من (جَزِع منه) وجازع" من (جزعه) ، على معنى الثبوت كجَزِعٍ . قال الأشجع السلمي في ديوان الحماسة :

وما أنا من رزء وان جل" جازع"
ولا بسرور بعد موتك فارح"

فقال المرزوقي في شرحه (٨٥٩) : (ولو قال بدل جازع وفارح جَزِع وفَرِح كان أفصح وأكثر ، لأن فَعِلَ اذا كان غير متعد فالأجود والأقيس في مصدره فَعَل" ، وفي اسم الفاعل . فَعِل" . واذا كان متعديا فبابه فاعل) . وقول المرزوقي هذا ظاهر الاستقامة بلا ريب . لكن اتفاق (جزعه) قد اقتضى (جازعا) ولو جاء بمعنى جزع منه . فجزعه لازم في معناه متعد في لفظه . قال ابن سيده في المخصص (١٤ / ١٤٠) : (قال أبو علي : اعلم أن فَعِل يَفعَل اذا كان اسم الفاعل منه على فاعل فهو يجري مجرى ما يتعدى ، وان كان لا يتعدى) . ومن ثم كان جازع من جزعه كجزع من جزع منه . ولو أن الجَزِع هو الشائع لشيوع جَزِع منه . فانظر الى قول المرزوقي نفسه (٩١٨) : (وفي ذلك بعض التسلي للجازعين له والمتوجعين لفنائه) فقد استعمل (الجازعين) دون (الجزعين) ليقرنه بـ المتوجعين . وهذا قوله (٩٠٤) : (لأن ما تأتيه من الضجر والبكاء وتتركه من النوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والقرار فِعْلُ الجازعين وغاية الفاقدين) فإنه قد جعل الجازع الى الفاقد أيضاً . فقد جاء في شرح أحد شواهد الحماسة (٩٦١) : (بكَتْ دارهم من فقدهم فتهللت : دموعي فأيءَ الجازعين ألوم)

هذا وفَرِح" كجَزِع فقد جاء منه فارح كجازع . ولكن جاء جزعه بمعنى اللزوم كما تقدم فهل اتفق فرحه بمعنى فرح به ؟ في التهذيب للأزهري (يقال ما يسرني به مفروح ومُفرح) وأردف (المفروح هو المفروح بـه) . فأصبح فرحه كفرح به . على أن هذا الذي أثبته الأزهري أنكره الأصمعي فقال (ولا تقل مفروح) على ما جاء في اللسان والتاج . كما أنكره ابن قتيبة على ما حكاه المخصص (١٣ / ١٣٣) . ومن شأن هذين الإمامين أن يشتدا فيما يرويان ويتحريا الأجود والأفصح . لكن الأصل انه كلما جاءت صفة على فاعل من فَعِل كان الفعل متعدياً أو كالمتعدي . وهذا يعني أن (فرح) قد يتعدى ولكن باللفظ دون المعنى . هذا ولا يحمل قول الأزهري (المفروح هو المفروح بـه) على ان اسم المفعول من اللازم قد يحذف بعده الجار ويرفع ضميره ؛ ذلك أن مجيء (المفروح) قد تعلق باتفاق (الفارح) فثبت أن الفعل أنزل منزلة المتعدي . وان لم يكن متعدياً .

(٤)

وجاء (آمِنَه) كأمن منه فهو اذا على حذف الجار ؛ وقد اتفقا على دلالة . قال الفيومي في المصباح (أمن زيد الأسد أمنا . وأمن منه ، كسلم منه وزناً ومعنى . والأصل أن يستعمل في سكون القلب ، يتعدى بنفسه وبالحرف) . ومن ذلك قولهم (أمنت عليه الضلالَ) و (أمنت عليه من الضلال) فأمنت الضلالَ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كأمنت من الضلال . قال الشاعر : (آمنّا على كل الرزايا من الجزع) فقال المرزوقي في شرح الحماسة (٨٦٤) : (يقال هو آمن على كذا . وقد أمنت على مالي عند فلان من امتداد الأيدي اليه . أي لا تمتد . كذلك أمنّا على كل الرزايا من الجزع أي لا تجزع) . فأنت تقول أمنت على مالي الهلاك كما تقول أمنت على مالي من الهلاك . سواء . وأمنه في ذلك كأمن منه . وتقول في الصفة من الأول (آمن) . ومن الثاني (أمين) . وهما صفتان على الثبوت . فلك أن تجعل احداهما محل الأخرى . كما فعل المرزوقي .

لكنه جاء (أمنه) بمعنى (ائتمنه) فهو اذا على تعد حقيقي . فأنت تقول (أمنته على كذا) أي ائتمنة . أي جعلته او اتخذته أميناً عليه . ففي اللسان (أمنته على كذا وائتمنته بمعنى) . ومنه قوله تعالى : (مالك لا تأمنا على يوسف ـ يوسف / ٦٤) وقوله تعالى (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه /) فليس (أمنه) هاهنا كـ (أمن منه) . وانما هو متعد تعدي (ائتمنه) . والصفة منه (آمن) على فاعل . لكنه على الحدوث لإيقاع الفعل .

هذا وفي التنزيل (أفأمنوا مكر الله . فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ـ الأعراف / ٩٩) أفجاء فيه أمنه كأمن منه أم كائتمنه ؟ أقول الواضح ان (أمنه) في الآية كأمن منه . فهو لذلك على تعدٍ لفظي لا حقيقي . على أن صاحب الكليات قد ذهب فيه مذهبا آخر فقال (وأما أفأمنوا مكر الله . فإنما هو يتضمن معنى الفعل المتعدي) . وفي قوله نظر . ففي الكشاف للزمخشري (ومكر الله . استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه . فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عدوه الكبير والبيات والغيلة) . فالآية تعني ـ والله أعلم ـ أفوثقوا الا يأتيهم مكر الله فيأخذهم من حيث لا يشعرون ..ومعنى (أمنه) في الآية كمعنى (أمن منه) سواء بسواء . وتعديته لفظية لا حقيقية . وليس فيه تضمين يعدل به عن أصل معناه ليشرب معنى فعل متعد آخر . ولكن ما الذي حمل صاحب الكليات أن يخرّج (أمنه) في (أفأمنوا مكر الله) على التضمين . أقول ان أبا البقاء قد اعتد (أمِنَ) لازما دوما . فقال (والأمن في مقابلة الخوف مطلقا .. ولا يتعدى الا بمن) فحمل ما جاء منه متعديا على التضمين . على أنك قد رأيت أن كثيرا من باب (فَعِلَ يفعَل) قد جاء متعديه بمعنى لازمه . فكان تعديه باللفظ دون المعنى . ومنه (أمنه) اذا أصبح آمنا . فقد تعدى لفظا لأنه على حذف الجار كما رأيت . وهو كحزن اذا اصبح حزينا . أما (أمنه) الذي معناه (ائتمنه) فإنه على تعد حقيقي كحزنه اذا جعله حزينا . أو هو كآمنه المزيد اذا جعله آمنا . فمن أمثلة النحاة (فمن نحن لتؤمننا بيتا وهو آمن) الهمع ٢ / ٥٩) وقد عد جزم ـ تؤمننا ـ فيه من الضرورة . وآمن هاهنا من أمنه بمعنى أمن منه .

(٥)

وقالوا حَرِدَ اذا غضب فهو حَرِدٌ . لكنهم قالوا حاردا أيضا . قال الزمخشري في الأساس (حَرِد عليه غضب وهو حَرِدٌ عليه وحارد . وأسد حارد وأسود حوارد) فما وجه مجيء (حوارد) من حَرِدَ اللازم . والأصل أن تكون الصفة منه على حَرِدٍ لا

قال ابن سيده في المخصص (١٣ / ١٢٢) : (فأما حريصه

فقال حَرِدَ حَرَدًا . ورجل حَرِد وحارد . أدخله في باب العلل . وقولهم حارد دالّ على ذلك) . وقال في تفسير ذلك (يعني أنهم جعلوه بمنزلة المتعدي كحَسِدَ حَسَدًا . والا فقد كان حكمه حَرِدَ حَرَدًا ؛ لأنه غير متعد كغضب غضبـاً . وقوله حارد دليل على ذلك . يعني أنه لو كان على باب مالا يتعدى لكسان حَرِدا او حسردان كغضبر وغضبان) .

وبيان ما سبق أن الأصل في (حَرِد) اللازم أن يأتي مصدره على (الحَرَد) بالتحريك كتعب يتعب تَعَبًا . لكنه أتى بالتسكين وهو ما يغلب في (فَعِلَ) المتعدي لذلك اعتد داخلاً في هذا الباب وجاءت منه الصفة على (فاعل) دليلا على ذلك . قال ابن جني في المحتسب (١ / ٥٤) : (وقالوا مَرِضَ مَرَضًا فهو مارض . كما قالوا حَرِد حَرَدًا فهو حارد . والتَّعَلُّل كالأصل في المصادر الثلاثية لا سيما المتعدي منها . والمتعدي أكثر من غير المتعدي . فلذلك سَاغ فيها التَّعَلُّل) بسكون العين .

فالذي ورد بمعنى (غضب) هو (حَرِد يحرَد) كتعب يتعب . أما مصدره فهو الحرد بالتسكين ؛ وهو ما اقتصر عليـه سيبويه والأصمعي وابن دريد . واستدلوا عليه بأبيات جاهلية كما حكاه صاحب التاج . وهو مذهب ابن جني . لكن الجوهري قد حكى فيه التسكين والتحريك .

وأما الصفة فـ (حرد وحـارد) . وقيل حردان حكاه ابن السكيت فيكون حردان من حرد كغضبان من غضب .

وقد جاء على نحو حَرِد حَرَدًا فهو حارد . حمي حَمًى فهو حام . قال ابن سيده في المخصص (١٤ / ١٣٤) : (ومثل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البارد والحَرّاد قولهم حميت الشمس تحمى حشيّاً . وهي حامية) . وقد حكاه عن سيبويه بلفظه كما جاء في الكتاب (٢ / ٢١٦) . ونحو من هذا يئس يأساً فهو يائس . ونئم نأماً فهو نائم ، وزهد زُهْداً فهو زاهد . قال سيبويه (٢ / ٢١٨) : (والأسماء على فاعل لأنها جعلت من باب شربت وركبت) .

ولكن هل لـ (حارد) وجه يحمل عليه ، غير ما ذكر كأن يأتي من (حَرِده) الذي بمعنى حَرِد عليه كسخطه بمعنى سخط عليه فهو ساخط ؟ أقول لم أر من نص على ذلك غير الراغب في مفرداته إذ قال (وحرد غضب وحرده كذا) . فإذا ثبت هذا كان (حرده) متعدياً باللفظ لأنه أتى على معنى اللزوم بتقدير حذف الجار ، والصفة منه حارد على الثبوت .

ولـ (حارد) وجه آخر هو أن يكون من (حَرَد) بالفتح ، قال ابن سيده في المخصص (١٣ / ١٢٣) : (ابن السكيت حَرِد حَرَداً هاج وغضب . صاحب العين : حَرَد يحرد حَرْداً وحَرِد حَرَداً) وحكاه اللسان والتاج . قال الزبيدي (حَرَد عليه كضرب ، وحَرِد كسمع حَرَداً محركة وحَرْداً ، كلاهما غضب) . فدل هذا على أن الفعل قد جاء على (حَرَد) كضرب فكان مجيء (حارد) منه على قياس ـ لكنه اسم فاعل على الحدوث لا صفة ثابتة . هذا هو الأصل ويكون ما جاء من (فَعَلَ) صفة مشبهة حين يأتي على زنة من أوزانها كشيخ من شاخ وأشيب من شاب وطيب من طاب وخفيف من خف كما جاء في تقريري الأنبابي والرفاعي على حاشية الصبان (٣ / ١٣٤) .

(٦)

هذا وقالوا (حَذِرَه وحَذِر منه) . قال الجوهري (حذرت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيء احذر حذرا) فأورده متعديا ، وحكى قول الشاعر (حذار من أرماحنا حذار) فبدا الفعل لازما . وكذلك فعل الزمخشري في اساسه . فما القول في الصفة منهما ، وفي معناها ، وفي تعديه الفعل ولزومه ؟

أقول قد جاءت الصفة من (حَذِرَ) على حَذِر وحاذر ، والأصل أن يكون حَذِرٌ من لازم وحاذر من متعد ، وهذا يعني أن الحَذِر هو الصفة المشبهة على الثبوت والحاذر هو اسم الفاعل على الحدوث . ففي اللسان (قال أبي الفراء : وكأن الحاذر الذي يحذرك الآن ، وكأن الحَذِرَ المخلوق حَذِرا لا تلقاه الا حَذِرا)[1] . وقال صاحب الكليات أبو البقاء (بخلاف حاذر وحذر فإن أحدهما اسم فاعل والآخر صفة مشبهة) . وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى (وانا لجميع حاذرون ـ الشعراء ٥٦) : (وانا لجميع حذرون ، وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمور ... وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان ،والكوفيون: حاذرون . والأول ـ أي حذرون ـ للثبات ، والثاني ـ أي حاذرون .. للتجدد) .

فـ (حَذِرٌ) اذا للثبوت و (حاذر) للحدوث ، لكن سيبويه قد جعل للحَذِر شأنا آخر ، ذلك أنه قد اعتد صيغة مبالغة أو تكثير معدولا به عن اسم الفاعل المتعدي ، وعلل بذلك تعديه الى مفعول واستشهد بقول الشاعر :

حَذِرٌ أمورا لا تضير وآمن
ما ليس منجيه من الأقدار

وقد أوضح شارح أبيات الكتاب الشنتمري ذلك واستظهر

(١) : معاني القرآن (٢ / ٢٨٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بشواهد وردّ على من اعترض بلزوم (حَذِر) وعدم تعديه لأنه صفة للثبوت . قال الجوهري (وهذا نادر لأن النعت اذا جاء على فعِلٍ لا يتعدى الى مفعول) . والجواب عن ذلك أن (فَعِلاً) لا يتعدى الى مفعول اذا كان صفة مشبهة على الثبوت . أما اذا أتي به معدولا عن اسم فاعل متعد . وهو قليل ، فلا شك أنه صيغة مبالغة . واعمال صيغة (فَعِلٍ) للمبالغة قياس عند سيبويه ، ولو قلّ . لأنه جاء على أصل . كذلك فعيل اذا جاء لإيقاع الفعل على جهة التكثير معدولا به عن اسم فاعل متعد كالأكيل بمعنى الآكل ، وهو غير الأكيل بمعنى المأكول . فقد جاء في قوله تعالى (وما أكل السبع ـ المائدة / ٣) وهي قراءة الجماعة . قراءة ابن عباس (وأكيل السبع) قال أبو الفتح في المحتسب (١ / ٢٠٧) : (وكذلك أكيل السبع هنا ما قد أكل السبع بعضه) . وليس هو (أكيلا) بمعنى المؤاكل كما تقدم .

هذا عن الصفة وأما عن معناها فمن الأئمة من عرف (الحَذِر) بالمتيقظ المتحرز والخائف ، وعرف الحاذر بالمتأهب كالجوهري . فقد جاء في الصحاح (ورجل حَذِر وحَذُر أي متيقظ متحرز ... ومعنى حذرون في الآية ـ خائفون) . كذلك فعل الزمخشري . ففي أساس البلاغة (ومن الكناية رجل حِذر وحذُر متيقظ متحرز .. وحاذر مستعد) . وعلل هذا فقال (لأن الفَزِعَ متيقظ متأهب) . ولم يفرق المصباح بين معنى الصفتين لكنه فرق بين معنى الفعل لازما ومعناه متعديا . فجعل للأول معنى التيقظ والتأهب وللثاني معنى الخوف . فما وجه الرأي في هذا كله ؟

أقول معنى الفعل في الأصل هو الاحتراز من مكروه أو مخوف . قال صاحب المفردات (الحذر احتراز من مخيف لذلك قيل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحذر المتيقظ المتحرز) . لكنك اذا حذرت انسانا أو شرا ـ على التعدية ـ وكنت متحرزاً من مكروه تتوقعه منه ، فلا بدع ان تكون متأهبا لما حذرته . ومن ثم قيل (الحاذر المستعد المتأهب). هذا هو الأصل ، ولو أن سياق الكلام هو الذي يحدد المعنى المراد .

فالمكروه الذي تحذره او تحذر منه قد يكون مخيفا لابد من لقائه كالموت . فانت اذا حذرته ، فانما تحذر ما تتوقعه منه حسابا او عذابا او شرا فتخافه وتخشاه . ومن ثم يأتي الحذر بمعنى الخائف ويتفق الحذر بمعنى الخوف ، فيقع في مقابلة الرجاء .

ويقال في (الآخرة) ما قيل في الموت . فانظر الى قوله تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ـ الزمر /٩) فالآخرة مخوفة ورحمة الله مرجوة . وكذلك قوله تعالى (ونمكّن لهم في الارض ونُري فرعون وهامان وجنودهما ، منهم ، ما كانوا يحذرون ـ القصص /٦) . قال البيضاوي : (ومنهم : اي من بني اسرائيل ، ماكانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم) أي ماكانوا يخافونه من ضياع الملك والهلاك .

وانظر الى قول علي رضي الله عنه في نهج البلاغة (فاحذروا عباد الله الموت وقربه ، واعدوا له عُدّته ، فانه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل ... ٣/٣٢) فهل حذرك الموت هنا ان تتوقاه وتتحفظ منه ، والاحتراز لاينجي منه ؟ قال رجل من بني اسد (المحاضرات ٥٢٢):

لو كان ينجي من الردى حَذَرٌ
أنجاك منها أسابك الحذر

أليس الحذر في كلام علي (رضي الله عنه) على معنى الخوف من الموت وحذر ما بعده ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنت قد تحذر العدو وتعلم انه لابد من لقائه فتخافه وتتجهز له وتشمر ، بل تحسر عن ساقك ويدك وترهف له غرار عزمك، فتكون الخائف المستعد المتاهب ، وقد يغلب خوفك او يغلب تأهبك، فانظر الى قوله تعالى (وانهم لنا لغائظون ، وانا لجميع حاذرون ـ الشعراء ٥٦) وقرىء حذرون . فقد قال ابن منظور في اللسان (حاذرون متأهبون . ومعنى حذرون خائفون ، وقيل حذرون متعدون) ، وقال الزمخشري (حاذر مستعد . واستشهد بقول الشاعر

فلاظفرو الا يوم جاءت محاربٌ

الينا بألف حاذرٍ قد تكتبا

واردف (اي بالف مقاتل متأهب للنزال متجزم) .

هذا وقد يكون التوقي أو التحفظ الذي يعنيه الحذر تجنبا أو امتناعا ، فيتحول الحذر اليه ، ففي التنزيل : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ـ المائدة / ٩٢) قال البيضاوي (واحذروا ما نهياعنه او مخالفتهما) ،وانظر الى قول علي رضي الله عنه (واحذر كل عمل يعمل به في السر ويستحى منه في العلانية ، واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه انكره أو اعتذر منه ـ ٣/١٤٢) أليس هو على معنى التجنب والامتناع؟ اما عن الفعل لزومه وتعديه ، فالذي يتبين بموازنه مواقع الفعل في التنزيل ، وفي كلام الايمة ونصوصهم وتدبر ما تشف عنه أن (حذره) هو الشائع ، فأنت تقول (حذرت الهلاك والفتنة والموت) فيكون المحذور هو المخوف الذي تتوقاه نفسه ، كما تقول (حذرت الاسد والعدو والماكر) فيكون المحذور هو مصدر الخوف وسببه ، واذا كان الحذر انما يوجب أن يكون المخوف ومصدر الخوف ، في الاحتراز منهما ، سواء فأنت تحذر المخوف وكل ما توقعت منه الخوف .

فمن تعدية الفعل بنفسه الى المخوف قوله تعالى (يجعلون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ـ البقرة / ١٩)،وقوله تعالى (فليحذر الـذين يخالفـون عن أمـره أن تصيبـهم فتنـة" أو يصيبهم عـذاب" أليـم ـ النـور / ٦٣) ، وقولـه تعـالى : (ونمكنَ لهم في الارض ونرىَ فرعـون وهامـان وجنودهمـا ، منهم ، ماكانوا يحذرون ـ القصص/٦) أي ما كانوا يحذرون مـن ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولودٍ منهم ، كما ذكر البيضاوي ، وكذلك قوله تعالى (وأطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا ـالمائدة /٩٥) أي احذروا ما نهيَا عنه او مخالفتهما ، كما جاء في المصـدر نفسه ، ومن ذلك قول علي رضي الله عنه (فاحذروا عباد الله الموتَ وقربه ـ٣/٣٢) ، وقوله (واحذر قلة الاعـوان على طاعـة اللـه ٣/١٤٣) وكله على تعدي الفعل بنفسه الى المخوف ، وهو الشائع في الاستعمـــال .

ومن تعدية الفعل بنفسه الى مصدر الخوف دون المخوف قوله تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم ـ المنافقون/٤) اي احذر المنافقين كما اشار اليه البيضاوي ، وقوله تعالى (واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ـ البقرة/٢٣٥) اي احذروا الله ، وقولهتعالى (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ـ المائدة /٥٢) وقول علي رضي الله عنه (واحذروا منازل الغفلة والجفاء ـ ٣/١٤٣) ، وقوله فاحذروها حذر الشفيق الناصح ـ٣/٧٨) أي احذروا الدنيا ،وكلهعلى تعدي الفعل بنفسه الى مصدر الخوف دون المخوف .

اما قولك (احذر من الموت) أو(احذر من الاسد) أو قولالشاعر حَذارِ من أرماحنا حذار) على تعدية الفعل بالحرفالىالمحذور، فانه على تقدير حذف المفعول والاصل فيه (احذ من الموت عاقبته) و(احذر من الاسد الهلاك) و (حذار من ارماحنا الموت والردى)، مادام الحذر هاهنا قد تجاوز الاحتراز الى توقع المكروه ـ فقد جاء في نهج البلاغة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(واحذروا منه ـ أي من الله ـ كنه ما حذركم من نفسه ـ١/١٣٥)، قال الشارح (حذّرنا من نفسه سبحانه أن نتعرض لما يبغضه بمخالفة أوامره ونواهيه . وكنه ذلك غايته ونهايته ، أي احذروا نهاية ماحذركم ولا تقعوا في شيء مما يبغضه ..)، وانما اكتفوا بذكر المحذور منه وأغفلوا المحذور نفسه لتلازمهما ودلالة الاول على الثاني واشتهاره به . ومن ثم كان المحذور في قولك (حذرت الاسد) غير المحذور في قولك(حذرت من الاسد) . فهو في الاول (الاسد) وهو سببالمكروه ومصدر الخوف . وهو في الثاني (بطشه وما توقعت من أذاه) أي المكروه نفسه . لكن قيام احدهما مقام الآخر والاستغناء به عنه جعل قولك (حذرت الاسد) كقولك (حذرت من الاسد) .

واذا كان (حذر) يتعدى بنفسه الى المخوف ومصدر الخوف فهل لك أن تجمع بين هذين ، لتوقع الفعل عليهما معا كأن تقول (حذرت الأسد سطوته) ؟ أقول لك أن تقول هذا ، ولكن ليس على إيقاع الفعل عليهما جميعاً ، بل على ابدال (سطوته) من (الاسد) . ففي التنزيل (واحذرهم أن يفتنوك ـ المائدة /٤٩) . قال البيضاوي : (أي أن يضلوك ويصرفوك عنه ، وان بصلته بدل من ـهم ـ بدل الاشتمال أي احذر فتنتهم ، أو مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك)وفي كلام أبي البقاءالعكبري صاحب (اعراب القرآن) ما يؤيد ذلك[1] .

فيستنبط مما تقدم ان الشائع في استعمال (حذر) ان تعديه بنفسه الى الذي تتقيه من المكروه او سببه ولك ان تعدي الفعل بالحرف الى سبب المكروه فيكون المحذور تقديرا هو

(١) وعندي ان ذلك سائغ اذا دل عامل البدل في (احذرهم) على البدل (ان يفتنوك) دلالة مجملة يفهم بها معناه فيصح الاستغناء عنه اذا حذف . والا فلا بد من تأويله على تقدير (احذر منهم ان يفتنوك) . وسيأتي بيان ذلك في الكلام على خاف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المكروه بل لك ان تعديه بالحرف الى المكروه نفسه فتقول (احذر من الموت) على ان المحذور المقدر هو عاقبة الموت . أما اذا قلت(احذروا من عاقبة الموت) فقد جعلت العاقبة سببا لمكروه آخر هو ما تتوقعه من هذه العاقبة ، حسابا او عذابا أو اي شيء تخشـاه ففي نهـج البلاغة (والحذر من هول معاده ـ١/ ١٣٥) .

ولكن كيف سأغ للازم المتعدي بالحرف أن يُردّ الى متعـد بنفسه ؟ أقول هذا كثير في اللغة . قـال الرضـي في شرح الكافيـة (٢/ ٢٧٣) : (واعلم أنه قيل في بعض الافعال متعد بنفسه مرة ، ومرة أنه لازم متعد بحرف الجر ، وذلك اذا تساوى الاستعمالان ، وكان كل واحد منهما غالبا ، نحو نصحتك ونصحت لك ، وشكرتك وشكرت لك . والذي أرى الحكم بتعدي مثل هذا الفعل مطلقا اذ معناه مع اللام هو معناه من دون اللام ، والتعدي واللزوم بحسب المعنى .وهو بلا لام متعد اجماعا ، فكذا مع اللام فهي اذن زائدة كما في ردف لكم، الا انها مطردة الزيادة في نحو نصحت وشكرت دون ردف) ...

اقول قد اكد الزمخشري تعدي (شكر) فقال في الاساس (شكرت لله تعالى نعمته واشكروا لي ، وقد يقال شكرت فلانا يريدون نعمـة فلان) . وقال (تشكرت له ما صنع) . فدل هذا على ان قولهم (شكرت له) انما هو على حذف المفعول ، واللام فيه أصلية لازائدة . وذلك كقولك (حذرت من الاسد). لكن اذا صح ان الاصل في (شكر) هو التعدي فكيف يسوغ هذا فيما كان من باب (فعِل يفعَل) للاعراض الباطنة كحذر ؟

أقول اذا كان الحَذَر هو الاحتراز والتيقظ لاغير فـ(حَذِر") هو الصفة منه ،وهي تعني أن يتصف الموصوف باليقظة صفة على الثبوت قال الفراء (وكأن الحَذِر المخلوق حذِراً لا تلقاه الا حَذِرا) والفعل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هنا لازم بلاشك . أما اذا كان الحذر هو التوقع لما يترقب من مكروه والاستعداد له فالصفة منه (حاذر) على الحدوث ، والفعل متعد بلاشك فاذا بدا لازما على هذا المعنى ، فانه على حذف المفعول كما بينا . فاللازم من (حذر) الباقي على لزومه ليس في معنى (حذر) المتعدي . ولو اتحد الاصل ، خلافا لـ (سخطه) بمعنى (غضب) لاكره ، فانه بمعنى (سخط عليه) وهو متعد لفظا والصفة منه ساخط على الثبوت ، واذا اتى (الحَذِر) بمعنى الخائف صفة للحدوث فانه لمن اعتاد ان يعتريه الاضطراب إزاء المخيف ، واذا اتى (الحاذر) بمعنى الخائف صفة للحدوث فإنه لمن يتوقع المكروه من مخيف فيأخذ له أهبته . وليس (حَذِر) (فريدا) في هذا الباب ، فنحو منه خشيه وخافه أيضا .

(٧)

أما (خَشِيَ) فقد أراد الصحاح أن ينبه على اصله فقال (خشي الرجل يخشى خشية أي خاف فهو خشيان والمرأة خشيا) فأورده لازما وجاء بنعته صفة مشبهة على الثبوت . وحكى صاحب اللسان عن ابن سيده قوله وجمعهما ـ أي جمع خشيان وخشيا : خشايا أجروه مجرى الادواء .. ونحوها لان الخشية كالداء) فاكد بذلك لزومه . وجاء (خشيانة) أيضا فقال صاحب التكملة على ماجاء في التاج (امرأة خشيانة تخشى كل شيء) فجاء بالصفة على الثبوت .

وحكى الرضي عن سيبويه ما ينزع هذا المنزع حين قال في شرح الشافية (١/٧٣) : (وقال سيبويه وأما خشيته فانا خاشٍ والقياس خَشٍ فالاصل ايضا خشيت منه فحمل على رحمته حمل الضد على الضد ولهذا جاء اسم الفاعل منه على خاش والقياس خش لان قياس صفة اللازم من هذا الباب فَعِلٌ) .

فما دام قياس الصفة من (فَعِلَ) أن يكون على (فَعِلٍ)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فالفعل لازم بلاشك وأصله (خشي منه فهو خشٍ) لكنهم قالوا (خشيه فهو خاش) فنقل الى التعدي واضحى كرحمته فهو راحم . قال سيبويه (٢/٢١٩) :

(وقالوا خشيه خشية وهو خاش ، كما قالوا رحم وهو راحم) فاتفق الفعلان زنة وصفة ومصدرا . وعندي انهما اتفقا تعديا . ولو كان اصل خشي لازما . ذلك أن الأئمة قد حملت (ساخطا وخاشيا) على الشذوذ حين ردتهما الى اصلهما وهو لازم . فقالوا ان (ساخطا) من سخط اللازم قد حمل على (راض) وان (خاشيا) من خشي اللازم قد حمل على (راحم) . على ان سخطه الذي تفرع على (سخط منه) بقي لازما بمعناه ، خلافا لخشيه فقد تعدى لفظا ومعنى . وشاع هذا في الاستعمال . فانظر الى قوله تعالى (ذلك لمن خشي العنت ـ النساء / ٢٥) و (وخشي الرحمن بالغيب ـ يس / ١١) و (ذلك لمن خشي ربه ـ البينة / ٨) و (انما يخشى الله من عباده العلماء ـ فاطر / ٢٨) و (تخشى الناس والله أحق ان تخشاه ـ الاحزاب / ٣٧) و (ويخشون ربهم ـ الرعد / ٢١) و (تجارة تخشون كسادها ـ التوبة / ٢٤) . وكله على تعدية الفعل بنفسه ، فهل يعدل (خشيه) هذا (سخطه) بمعنى سخط منه ؟

هذا واذا قلت (خشيت منه) فلا يعني هذا بالضرورة لزوم الفعل فاذا خشيت من رجل أو أمر فقد تخشى منه ما يسوءك . قال الشاعر (المحاضرات ٤/٤٨٩) :

واذا خشيت من الامور مقدرا

وفررت منه فنحوه تتوجه

وهكذا القول لو قلت (خشيت على فلان) فقد تخشى عليه ما لا ترضاه له ، قال كعب بن زهير (المحاضرات ٤/٥٢١) :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لعمرك ما خشيت على أبيٍّ
مصارع بين قوباء السنيّ
ولكني خشيت على أبيٍّ
جريرة رمحه في كل حيّ

فخشي لايكون لازما الا اذا عنيت به اضطرابك أو فزعك . اما اذا تجاوزت هذا فقصدت به اشتغالك بما تتوقعه من مكروه أو محذور أو هلاك فهو متعد كما رأيت . ومما يصح التمثيل به على لزوم الفعل قوله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى ــ طه/١ــ٣) قال البيضاوي (لمن يخشى : لمن في قلبه خشية ورقة تتأثر بالانذار) . ونحو منه قوله تعالى (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ــ النازعات/٢٦) قال البيضاوي (لمن كان من شأنه أن يخشى) ومما يمكن ان يستشهد به على تعدي الفعل على حذف المفعول : قوله تعالى (وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهّى ــ عبس/٨ــ١٠) قال البيضاوي (وهو يخشى الله أو أذية الكفار ..) ونحو من ذلك قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكّر من يخشى الاعلى/٩ــ١٠) قال البيضاوي (سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى ..) .

(٨)

ونحو من خشي (خاف) . فاذا قصدت به التعبير عما يعتري النفس من جزع ازاء مكروه قلت (خفت) فأفصحت به عما غشيك من هذا العرض وكان الفعل لازما . أما اذا تجاوزت به ذلك الى الاهتمام بما تتوقعه من مكروه وترقبه من خطر فقد جعلت الفعل متعديا . قال صاحب المفردات (الخوف توقع مكروه من امارة مظنونة أو معلومة) ، وقال الجرجاني في تعريفاته (الخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وليس يشترط في مثل قولك (خفت من الأسد) أن تعتد بالفعل لازما . فقد تود أن تشير الى ما تتوقعه منه بعد أن عهدت لتصوره فيكون تأويله (خفت من الأسد الآتي أو الهلاك) فيكون الفعل متعديا . والمعول في ذلك على ما يشف عنه سياق الكلام .

ويتبين بالاستقراء أي الذكر الحكيم وكلام العرب انك كلما اردت ذكر الامر الذي تخافه عديت الفعل الى المخوف بنفسه فقلت (أخاف عذاب الله) كما تقول (أخاف الردى والموت والجهل والفقر) .

وكان صاحب المصباح أراد ان يشير الى هذا فقال (خاف يخاف خوفا وخيفة ومخافة) فأورد الفعل لازما . وأردف (وخفت الامر بتعدى بنفسه فهو مخوف) فجاء به متعديا الى المخوف بنفسه .

واذا اعترضك قول القائل (أخاف الله) بتعدية خاف الى ما يتأتى منه الخوف دون المخوف . فانه على تقدير تعدية الفعل الى الامر المخوف نفسه وتأويله (أخاف عذاب الله) . ومن ثم كانت تعدية خاف الى لفظ الجلالة تعدية لفظية لا تعدية حقيقية معنوية . كما كانت تعدية (سأل) الى (القرية) في قوله تعالى (واسألوا القرية) . فقد ذكر سيبويه في الكتاب أنه على تقدير (واسألوا أهل القرية) بحذف المضاف . فالمفعول الحقيقي هو (اهل) لان حدث الفعل انما وقع عليه . ففرق بذلك بين فعلٍ قد عمل بمعناه فوقع حدثه على المفعول حقا . وفعلٍ عمل بلفظه فلم يقع حدثه على ما بدا أنه مفعوله ومثل لذلك بالآية الكريمة .

فخاف المتعدي اذا انما يتعدى بنفسه الى الامر المخوف مذكورا او مقدرا . فانظر الى قوله تعالى في ذكر المخوف (لمن خاف عذاب الآخرة ــ هود / ١٠٣ وقوله (وان خفتم شقاق بينهما ــ النساء / ٣٥) . وقوله (وان خفتم عيلة ــ التوبة / ٢٨) . وقوله (فلا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يخاف خلفا ـ طه ١١٢) . وقوله (فلا يخاف بخسا ـ الجن ١٣) . وهكذا ...

والنظر الى مذاهب في نهج البلاغة (رحم الله امرأ راقب ربه وحاسب ذنبه ـ ١ ، ١٢٣) و (انما بكم من لا يخاف لكم بغوره ـ ١ ، ٢٠٤) و (وأعدته من طريق اذا خفت ضلالته ـ ٣ ، ٤٤) .

فاذا تعدى الفعل بنفسه الى الذي يتأتى منه الخوف دون الأمر المخوف ، كانت التعدية في الاصل الى الامر المخوف انسه تقديرا . فانظر الى قوله تعالى (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال : اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين ـ الحشر ١٦) . قال البيضاوي : (تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك) . فالمقصد هنا اذا ان الشيطان يخاف عذاب الله . ونظيره قوله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ـ النحل ٥٠) . قال ابو حيان في البحر المحيط (يخافون صفة الملائكة خاصة فيعود الضمير عليهم ..) . وقال : (فان علقته بيخافون كان على حذف مضاف اي يخافون عذابه) . ونحو من ذلك قوله تعالى (اني خفت الموالي ـ مريم ٥) . قال البيضاوي (يعني بني عمه . وكانوا اشرار بني اسرائيل . فخاف أن لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم) . فخوفه الموالي اذا يعني ألا يحسنوا خلافته على امته .

وقد جاء في نهج البلاغة (يا ابا ذر ... إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك . فاترك في ايديهم ما خافوك عليه واهرب بما خفتهم عليه ..) فالذي خافه جماعة عثمان من ابي ذر هو أن يؤول بهم زهده وتقاه وعقبه لهم في وجوه كسبهم وثرائهم الى حرمانهم ما في ايديهم من الثروة والمال . والذي خافه ابو ذر من هؤلاء . وهم اصحاب السلطة والجاه . أن يؤذوه في دينه . فالكلام اذا على الاصل الذي نزعنا اليه . ذلك ان المخوف من أبي ذر زهده وصدق لهجته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونعيه على هؤلاء خروجهم عن الدين فيما كسبوا او انفقوا . والمخوف من هؤلاء ايذاؤهم اياه في دينه . وقد ذكر صاحب المغني فيما اتفق فيه حذف المضاف قوله تعالى (لمن كان يرجو الله ، أي رحمته) و (يخافون ربهم) أي عذابه . قال ابن هشام (٢ / ١٥٨) : (بدليل : ويرجون رحمته ويخافون عذابه) أي بدليل قوله تعالى في سورة (الاسراء / ٥٧) : (يرجون رحمته ويخافون عذابه) .

واذا اتفق لك ما اجتمع فيه ذكر المخوف والمتسبب في الخوف، باشر الفعل المخوف وتوسل بالحرف الى المتسبب . فانظر الى قوله تعالى (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريراً ـ الدهر / ١٠) فقد جاء تعدي الفعل فيه الى المكروه المخوف بنفسه والى المتسبب بالحرف . وقال البيضاوي (يوما:عذاب يوم) .وكذا قوله تعالى (فمن خاف من موصٍ جنفا أو اثما ـ البقرة / ١٨٢) قال البيضاوي (.. جنفا ، ميلا بالخطأ في الوصية) ، وقوله تعالى (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ، ان الله لايحب الخائنين ـ الانفال /٥٨) وكذلك قوله (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه ، على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم ـ يونس / ٨٣) فقد جعله الأئمة على تقدير (على خوف فتنة من فرعون) أو (على خوف فتنة فرعون) ، كما قاله أبو البقاء العكبري .

واذا كان الاصل أن تقول (خفت المكروه) فهل لك أن تقول(خفت من المكروه) ؟ أقول لك ذلك اذا كان المكروه سببا لمكروه اخر تخافه. فاصل الكلام مثلا (خفت النار) ولكنك تقول (خفت من النار) اذا قصدت أنك خفت أن تصلاها ، فانت تخاف منها الاحتراق والصلاء . فانظر الى قول علي بن الموفق ، على ما حكاه الراغب في المحاضرات (٤١٣) : (اللهم ان كنت تعلم أني اعبدك خوفا من نارك فاحرقني) فانه على معنى (اللهم ان كنت أعبدك خوف أن احرق بنارك فاحرقني).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وانظر الى ما حكاه أيضا (٤١١) : (وقال أبو سليمان الداراني : ما عمل داوود عملا خيرا من خطيئة • مازال خائفا منها حتى لحق بربه) افلاتراه على معنى أن داوود كان يخاف من الخطيئة عاقبة اقترافها ؟

هذا وقد قال صاحب الكليات أبو البقاء (خاف يلزم ويتعدى الى واحد واثنين ، وبتوسط على : نحو خفت عليه) فهل يتعدى الفعل حقا الى اثنين ؟

اقول قد اتفق ذلك وتكرر في كلام الأئمة • ففي اعراب القرآن للعكبري حول اعراب قوله تعالى (فأنتم فيه سواء ،تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ـ الروم/٢٨) : (وأما تخافونهم ففي موضع الحال من ضمير الفاعل في سواء أي فتساوَوا خائفا بعضكم بعضا مشاركته له في المال، أي اذا لم تشارككم عبيدكم في المال فكيف تشركون في عبادة الله من هو مصنوع الله) •فأنت ترى أنه قدعدى اسم الفاعل(خائفا)الى مفعولين: فالاول هو (بعضا) والثاني (مشاركته) • ولايخفى أن الاصل في المفعول الاول ، كما مر بنا في أمثاله،هو الجر على تقدير (خائفا بعضكم من بعض مشاركته) • ويمكن أن يحمل ذلك على قول من قال بقياس حذف الجر في مثال (أمرتك الخير) مما ينصب بالحذف مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، كما جاء في الاشباه والنظائر (٤ / ٢٢٥) • وقد اشترط ابن سيده في مخصصه لهذه المسألة ألا يكون المفعول الاول فاعلا في معناه للمفعول الثاني كقولك كسوت الرجلَ اللباس • فأنت تقول في مقابل ذلك (اكتسى الرجلُ اللباس) خلافا لباب امرتك الخير • وجاء ابن سيده بأمثلة محمولة على هذا الباب ـ باب أمرتك الخير ـ منها سرقت زيدا مالا ، وسلبته شيئا ، وكلته الطعام • ووزنته الشيء •• وليس مثال (سرقت الرجلَ مالا) ككسوت الرجل لباسا ؛ لان الرجل في الاول مفعول في معناه ، وهو في الثاني فاعل لانه مكتس • وقد فصلنا الكلام في ذلك في مقالنا حول حذف الجار في مجلة التراث العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدمشقية ، لشهر ايار ١٩٨٠ .[1]

ولكن ما القول في الصفة من (خاف) ؟ أقول مادام قد صيغ (خاف) لازما فقياس الصفة منه على (خَوِف) وزان (فَعِل) . وثبت متعديا فالوصف منه على (خائف) وزان (فاعل) ، على أنه قد اشتهر (خائف) وهو في الاصل اسم فاعل على الحدوث فأنزل حينا منزلة الصفة المشبهة على الثبوت ، فانظر الى قول الازهري في تهذيبه (والنعت خائف وهو الفزِع) فقد جعل الخائف كالفزِع صفة ثابتة ، وقال الجوهري (خاف يخاف خوفا .. فهو خائف) فقد جاء بالصفة على خائف ثم قال (وربما قالوا رجل خاف أي شديد الخوف ، جاؤوا به على فَعِل مثل فرق وفزِع) .

وعندي أن الاصل اذا قلت (خائف) ان يكون اسم فاعل من (خافه) على الحدوث ، وعليه الاستعمال ، أما اذا قلت (خاف) وأصله خَوِف" على فَعِل قلبت فيه الواو المتحركة بعد فتح ألفا فقالوا خاف ، فقد عنيت أنه صفة لمن اتصف بالخوف فلزمه واصبح دأبه وديدنه ، وهو ما تدل عليه الصفة المشبهة ، وقد عبر الجوهري عن هذا فقال (رجل خاف أي شديد الخوف) ، واذا دأب الرجل على الخوف فهو شديد الخوف ، وقد قالوا رجل صات" أي شديد الصوت ، وأصله صَوِت ثم أُعل" ، ورجل مال" اي كثير المال ، وقال كثير النال اي العطاء وأصلهما قبل الإعلال مَوِل وتَوِل ،

---

(١) ولكن الا يصح ان يكون (مشاركته) في مثل قوله (خائفا بعضهم بعضا مشاركته) بدل اشتمال مما قبله ؟ أقول بسوغ ذلك اذا دل عامل البدل عليه دلالة مجملة يفهم بها معناه فيصح الاستغناء عنه اذا حذف ، والا فلا بد من حمله على تقدير (خائفا بعضكم من بعض مشاركته) كما فعلنا . قال الرضي (٢ / ٣٣٩) : من حيث كونه دالا عليه اصلا ومتقاضيا له بوجه ما بحيث تبقى النفس عند ذكر الاول متشوقة الى ذكر الثاني منتظرة له ، فيجيء الثاني ملخصا لما احمل في الاول مبينا له) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يشد قولك رجل حوِل اذا كان كثير الحيلة ورَوِع كفَزِع معنى ووزنا ، من غير اعلال كما قاله الرضي .

(٩)

ومما جاء على (فَعِلٍ) وكثر الخلاف فيه (هَوِي) أيأتي الوصف منه على (هَوٍ) كفَعِلٍ ويجمع سالما فيقال (هووون) أم يأتي على (هاوٍ) كناعل فيصح تكسيره على (هواة) ؟

المشهور في (هوي) انه متعد ، كما هو شائع معروف .. ففي المصباح (فالهوى مقصور مصدر هويته من باب تعب اذا أحببته وعلقت به ، ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء ..) . فهل هذا هو الأصل فيه ، أو أن له عرفا في اللزوم ، يتصل به ويُنسَبُ اليه ؟

أقول اذا كنت ذا هوى فأخبرت به فقلت (هويتُ) وأنت تريد ان تفصح عما حل بك من كلف يأخذ بمجامع القلب ، وتبين عما يغادرك من جوى يستوقد الضلوع ويأسر الفؤاد ، فالفعل لازم تكشف به عما غشيك من مرض باطن واستبد بك من داء كامن .

قال المبرد في الكامل (١ : ١٥٨) : (وتقول هَوِيَ يهوَى كما تقول فَرِقَ ، وهو هَوٍ كما تقول فَرِق) . فأورده مورد اللازم . ولا ننسَ أنهم جروا على أن يتعرفوا لزوم الفعل بمجيء صفته على (فَعِلٍ) وأن يستشهدوا على تعديه او معاملته كذلك باتفاق وصفه على (فاعل) . وقد صرح ابن القوطية بلزوم (هَوِيَ) وتعديه فقال : (هَوِيَ الشيءَ أحبه . وهوي في دين أو مذهب أو عشق : استعبده ذلك) . فهوي في دين أو مذهب او عشق وامق به وافتتن فأسره واستبد به .

واذا كنت ذا هوى فقلت (هويته) على التعدي فقد قصدت أن تتجاوز الكشف عما حل بك من وكله وصبوة الى الاعراب عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي كان محل هواك وموضع صبابتك وسبب هيامك خاصة ،وتقول في الصفة منه فانا (هاوٍ) اسم فاعل على الحدوث • هذا هو القياس • على أن الأئمة لم يذكروا صفة من (هوي) ولو تعدى غير (هَوٍ) ففي القاموس (هويه كرضيه هوىً فهو هَوٍ كعم) وقد حكاه صاحب التاج وجاء في اللسان (هويه هوى فهو هو)• وبذلك أثبتوا الفعل متعديا واتوا بصفته على معنى اللزوم • والقياس الظاهر ان يقولوا (هويَه فهو هاو) فهل جاؤوا بالصفة على اللزوم ايثارا للاصل واستمساكا بالوضع دون مراعاة ما يوجبه الاستعمال وتقتضيه حراسة المعنى والتأتي له . كما فعلوا ذلك في مواضع اخرى ؟

فقد ذهب الأئمة في هذا الباب الى ان سخطه كسخط منه والصفة منه ساخط ، واعتدوا (ساخطا) على غير بابه • ذلك أن سخطه مدخل في باب التعدي وليس منه ، لانه على معنى اللزوم • وكذلك فعلوا في خشيه وخشي منه فجعلوا الصفة من الفعل (خاشيا) واعتدوه على غير بابه • وشايع الرضي الأئمة الاوائل في هذا كما ذكرناه •

أقول أما أن سخطه كسخط منه اذا كان معناه غضب فهو اجماع وكذلك فرق بمعنى فرق منه وفزعه بمعنى فزع منه • لذلك كان (ساخط) على غير بابه ، لان سخطه لازم بمعناه • وأما أن خشيه كخشي منه وان خاشيا على غير بابه ففيه نظر • ذلك ان خشيه متعد معنى ولفظا كما بيناه • وقد شاع استعماله كذلك • بل قد يكون (خشي منه) على التعدي وحذف المفعول كخشي عليه كما كان خاف منه وخاف عليه فقولك في صفته (خاشٍ) هو مقتضى القياس في أمثاله وموجب الاستعمال • أما (خشٍ) فقد أنكره جماعة وأثبته آخرون كالزمخشري وهو صفة على الثبوت من الفعل اللازم • وفرق ابن قتيبة بين (فرق منه وفزع منه) وبين (خشيه وخافه) فقال في ادب الكاتب (وتقول فزعت منك وفرقت منك ولا يقال فرقتك ولا فزعتك) فاكد لزومهما شكلا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعنى ، واردف (ويقال خشيتك وهبتك وخفتك) فاكد تعديها ولم يتأوله فيجعله بمعنى اللازم • وكيف يكون تعديها لفظا وقد شاع استعمالها على التعدي • فاذا حذف مفعولها قدروه كما فصلناه في (خاف) ، وكذلك خشي • قال تعالى (وأما من جاءك يسعى وهو يخشى، فأنت عنه تلهّى ــ عبس /٨ــ١٠) قال البيضاوي (وهو يخشى الله أو أذية الكفار••) ولا يصح أن يكون لفَرِق او وَجل ، وقد انزلوا ــ خشي ــ منزلتهما ، مثل هذا الموضع ألبتة • قال ابن القوطية (خشي الله خشية اتقاه ، والشيءَ خافه • وخشيت الرجل خشيا : صرت أخشى منه) فلم يورده الا متعديا • فذهاب الاوائل الى ان (خاشيا) قد جاء على غير بابه ، انما هو استمساك بالوضع ، وايثار للاصل على الاستعمال كما رايت • وهم قد جروا على ذلك في (خشي) واحجموا عنه في (خاف) فلم يحملوا ــ خائفا ــ على غير بابه •

وقد اتى سيبويه بـ(أَجِمَ) فجعل الصفة منه على (أجِمٍ) كفَعِلٍ فقال (٢/٢١٩) : (أجِمَ يأجَم أَجَماً فهو أجِمٍ)• واتى الجوهري به متعديا فقال (اجمت الطعام بالكسر اذا كرهته من المداومة عليه •• فأنا آجم على فاعل) •

وقال سيبويه (وجاؤوا بضد الزهد وذلك هوي يهوى فهو هو) وهوي لازم ومتعدّ ، فالقياس اذا أن ياتي منه هو وهاو ، كما جاء من أجمَ أجمٌ وآجم ، ولكل من الصفتين منحاها • اما نصهم على (الهوي) وإغفالهم (الهاوي) فاذا كان قد جرى استمساكا بالاصل وايثارا له ، وتاكيدا لدأبهم على تصيير الفرع الى الاصل ، فهل ارادوا به الاستغناء بما نصوا عما أغفلوا ؟ اقول هذا ظاهر الامر • قال الاستاذ محمد محمود البزم ، رحمه الله ، في مجلة اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق) لعام ١٩٤٤ م (فالهاوي صحيح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قياسا مستنع سماعا ؛ والمسموع هوٍ والجمع هوون) . لكن الاصل الا يمتنع (الهاوي) ، وهو صحيح قياسا ، الا اذا ثبت حرص العرب على الاستغناء عنه ، (هو) . ولا يستقيم هذا مالم يتواردا في الاستعمال على المحل الواحد. والثابت انهم انما ارادوا (الهوي) لارادة معناه. ذلك انهم اتوا به صفة مشبهة على الثبوت . فاذا قلت (هاو) على القياس فانك لاتعني ان تحله محله وانما تبغي دلالته على حد صيغته وتعدي فعله . فهما اذا لا يتعاقبان على موضع . قال ابن جني في الخصائص (١ : ٤٠٢) (واعلم ان استعمال ما رفضته العرب لاستغنائها بغيره جارٍ في حكم العربية مجرى اجتماع الضدين على المحل الواحد في حكم النظر . ذلك انهما اذا كانا يعتقبان في اللغة على الاستعمال ، جريا مجرى الضدين اللذين يتنازعان المحل الواحد . فكما لايجوز اجتماعهما عليه فكذلك لا ينبغي أن يستعمل هذان وان يكتفى بأحدهما عن صاحبه) . وربّ قائل يقول : أليس في نصهم (هويه فهو هوٍ) دليل على أنهم أحلّوا (الهوي) محل (الهاوي)؟ اقول لا يصح في مرائق العربية ان يقع (هَوٍ) الصفة المشبهة موقع (هاو) اسم الفاعل فيستعاض به عنه . ذلك ان الأئمة قد نصوا بالاستقراء على قيام اسم الفاعل مقام الصفة المشبهة كسالم من سلم وظاهر من ظهر وماخط من خط وناعس من نعس .. ولم يعكسوا فيحلوا الصفة المشبهة محل اسم الفاعل بل أقروا أن الصفة المشبهة اذا جاءت من متعد وجب ان ترد الى لازم تؤسس عليه . بل ذهبوا الى ان الصفة المشبهة اذا اريد بها ما يراد باسم الفاعل من الحدوث حولت الى (فاعل) ، كما فصلناه .

ومن ثم كان نصّهم على (هَوٍ) لا يمنع من قولك (هاوٍ) على القياس ، لان لكل منحاه ودلالته فلا يتعاقبان على موضع .. وليس يصح في العربية ان يغني (هَوٍ) مغنى (هاوٍ) البتة ، لذلك اشكل قولهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(هويه هوى فهو هو) وقد اورده الزمخشري في الاساس أو عزي اليه كما جاء به صاحب القاموس وحكاه التاج . اذ كيف يسوغ ان يحل (هَوٍ) محل (هاوٍ) فيسد مسده . ومحال ان يغني مغناه !

هذا ونص سيبويه (هوي يهوى هوى فهو هو ـ ٢/١٦٢) لا (هويه) . وقد ذكر ذلك في موضع آخر (٢/٢١٩) . وكذا نص الكامل . قال المبرد: (وتقول هوي يهوى كما تقول فرق يفرق وهو هَوٍ كما تقول فَرِق) فاكد انه يريد بالفعل لازمه لامتعديه . وقد أثبت الصفة على هذا . واورد الازهري في هذا حكاية الليث فقال (قال الليث الهوى مقصور هوى الضمير . تقول هوي يهوى هوى فهو هَوٍ ذو هوى مخامر . وامرأة هوية لاتزال تهوى) فجعل النعت صفة مشبهة . وهو لايأتي الا من لازم . وحكى اللسان رواية الليث هذه .

هذا وقد جاء الزمخشري بقول يزيد بن الحكم الثقفي

ارائك اذا لم اهو امرا هويته
ولست لما اهوى من الامر بالهوي

والتقدير فيه (ولست بالهوي للذي اهواه) . وتاويله كما يبدو ان اللام ليست فيه للتقوية لان لام التقوية انما تدخل على ماهو مفعول اصلا . وليس للهوي مفعول ما دام صفة مشبهة فاللام اذا للاختصاص قال صاحب المغني في قوله تعالى (ان هذا عدو لك ولزوجك ـ طه/١١٧) وقول الشاعر :

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
أكيلا فاني لست آكله وحدي (١/١٧٧)

(وفيه نظر لان عدوا واكيلا وان كانا بمعنى معاد وءاكل

لاينصبان المفعول لانهما موضوعان للثبوت . وليسا مجاريين للفعل والتحرك والسكون . ولامحمولان عما هو مجار له لان التحويل انما هو ثابت في الصيغ التي يراد بها المبالغة ، وانما اللام في البيت للتعليل ، وهي متعلقة بالتسمي . وفي الآية متعلقة بمستقر محذوف صفة لعدو ، وهي للاختصاص) . وقال المرزوقي في شرح الحماسة (١٦٦٩ : (فاراد فالتسمي من أجله) .

ومن عرض لهذا الدكتور مصطفى جواد ، رحمه الله ، كما جاء في كتاب (أغلاط اللغويين القدماء) اذ قال : (فلماذا لم يقولوا في الهوى ــ هاو ــ وظاهره التعدّي) ثم أجاب (ان هذه الأفعال لازمة في الأصل حتماً . ولكثرة الاستعمال الموجبة لنزع الخافض تعدت) ! واردف (انا لا أمنع من هاو لسببين : الأول نص جماعة من العلماء على اطراد بناء فاعل من كل فعل ثلاثي مجرد . والثاني قول الزمخشري في مفصله : ان قصدت الحدث قلت حاسن الآن أو غداً) .

أقول ما دام القياس يقضي بمجيء (هاوٍ) من (هويه) فما حاجة الأستاذ الى حمل (هاو) على مذهب من قال باطراد مجيء فاعل من كل فعل ثلاثي ، وليس هو مذهب الجمهور ، بل ما حاجته الى الاعتذار بجواز تحويل الصفة المشبهة الى فاعل ، وقد خصوا هذا بما بني على لازم غير متعد بنفسه . ففي التنزيل (انهم كانوا قوماً عَمِين ــ الأعراف / ٦٣) ، قال أبو حيان في البحر المحيط (وعَمِين من عَمِي القلب ، أي غير مستبصرين . ويدل على ثبوت هذا الوصف كونه جاء على وزن فَعِل . ولو قصد الحدث لجاء على فاعل كما جاء ضائق في ضيق وثاقل في ثقيل ، اذا قصد بهما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حدوث الضيق والثقل ــ ٤ / ٣٢٣) • وفي هوي متعد هو هويه والصنة منه هاو على الحدوث أصلا • قال المتنبي :

وما كل هاوٍ للجميل بفاعل ولا كل فعّال له بصميم

والبيت مذكور في (الوساطة) وقد اعتده القاضي الجرجاني من مختار شعر ابي الطيب . ولم يعبه به عائب او ينكره منكر •

هذا وقد يدل (الهاوي) مع ذلك على الاستمرار المتجدد ، ذلك اذا نصب مفعوله أو أضيف اليه فيشبه الصفة المشبهة ، كما أثبتناه في صدر المقال • تقول (زيد" مكرم" ضيفه) او (مكرم ضيفه) او (مكرم الضيفان) على ما أورده اليازجي في نار القرى[1] • وقد جاء في الحديث (أربعة لا ينظر الله تعالى اليهم يوم القيامة : عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بالقدر) أفليس (مدمن خمر) على الاستمرار المتجدد ؟ ومدمن اسم فاعل اضيف الى مفعوله ؛ فهو هنا على معنى الصفة المشبهة • وقد اشار العلماء ان الثبوت فيما صيغ من الصفات المشبهة للأعراض على (فَعِلٍ) انما هو الاستمرار المتجدد • أقول وهكذا جاز قولك (هؤلاء هواة الكتب او الطوابع) بهذا المعنى • اما قولك (هَوٍ وهووٌ) فهو على الثبوت أصلاً . ومن هنا كان ابلغ في تصوير الولوع والكلف والتعبير عن العلوق والشغف •

هذا وقد جاء في اللسان (الهوى العشق والهوي المهوي)واشار ابن سيده الى (الهوي) وهو فعيل بمعنى المفعول فقال : الهوي

(١) أقول الاصل في (زيد مكرم ضيفه) ان يكون للحال او الاستقبال ؛ وفي (زيد مكرم ضيفه) ان يكون للماضي كما جاء في الصاحبي . قال ابن فارس : (وهن حواج بيت الله ؛ اذا كن قد حججن وحواج بيت الله اذا اردن الحج ١٦٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هو المهوي . وما كان على فعيل بمعنى مفعول فقد صيغ من متعد كقولك هويت الأدب فالأدب هوي أي مهوي بمعنى محبوب . وما دام ثمة مهوي فثمة هاوٍ بلا شك .

(١٠)

بقي أن نقول كلمة في (عَشِق) وصفته . فهي الأثبات عشق كتعب ومصدره العَشَق كالتَعَب . أما العِشْق بكسر فسكون فهو الاسم كما جاء في المصباح . وقيل ان (العِشق) هو المصدر كالعلْم من عَلِمَ . وجمع ابن القوطية بينهما فقال (عَشِق الشيءَ عِشْقاً وعَشَقاً هويه) وعليه ابن فارس صاحب المقاييس . وعندي أن العَشَق بالتحريك هو مصدر اللازم . كما قاله الرازي في مختار صحاحه وذكره السيوطي في همعه (٢ / ٦٧) وعليه ابن مالك . فيكون العِشْق بكسر فسكون مصدرا للمتعدي .

أما أصل معناه فالراجح قول أبي نزار (العَشَق والعَسَق بالشين والسين اللزوم للشيء لا يفارقه لذلك قيل للكلف عاشق لزوم هواه) حكاه الأزهري في تهذيبه وأكده الزمخشري واستصوبه صاحب التاج . وأما غير الراجح فقول ابن الأعرابي (وسمي العاشق عاشقاً لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة اذا قطعت) حكاه الأزهري في تهذيبه أيضاً . وأشار ابن دريد الى ضعفه . وعليه صاحب المقاييس . والعَشَقة شجرة تخضر ثم ترق وتصفر كما في اللسان .

وما دام العَشَق كالعَسَق لزومَ الشيء للشيء لا يفارقه فما هو العَسَق ؟ قال صاحب المقاييس (.. قال الخليل : العَسَق لصوق الشيء بالشيء ، يقال عَسِق به عَسَقاً) . وحكى ابن فارس عن الخليل أن عَسِك نظير عَسِق أيضا . فاستبان بذلك أن عَشِق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لازم أصلا كما كان هوي ، والعشق في الوضع لصوق الشيء بالشيء حقيقة وحسّاً ، ثم جروا على تعديته فعبروا به عن لصوق القلب بالقلب كلفاً وشغفا بطريق المجاز ، وتجاوزوا به الإفصاح عن مجرد اللصوق الى الاهتمام بالذي كان موضع علوقه وولوعه . ويقوي هذا قولهم (عشيق) بمعنى (عاشق) كلصيق بمعنى لاصق وكذلك كليف ، وكلها صفات مشبهة بنيت على لازم . قال أبو تراب (ولذلك قيل للكليف عاشق للزوم هواه) . وفي المزهر (٢ / ٩٦) : (وعشيق عاشق ، وربما قالوا للمعشوق أيضا عشيق) . وفي التاج (والعشيق كأمير يكون بمعنى الفاعل ويكون بمعنى المفعول) . فاذا كان عشيق بمعنى عاشق صفة ثابتة من لازم ، فعشيق بمعنى معشوق صفة حادثة من متعد .

على انه قد جاء من المتعدّي وصف آخر على الثبوت سماعاً ، ليس هو اسم فاعل ولا صفة مشبهة ، قالوا انه صفة على النسب . ذلك قولك (رجل عاشق وامرأة عاشق) أي ذو عشق وذات عشق .

فالأصل في (النسب) ان تضيف الى المنسوب ياء مشددة ، لكن ألفاظاً أتت على زنة اسم الفاعل فادت مؤدى المنسوب فقيل إنها على النسب ، وجاء منها سيبويه في باب ما يحذف فيه ياء الإضافة بـ (اللابن) لذي اللبن و (التامر) لذي التمر . وأتوا على هذا بدارع وتارس لذي الدرع وذي الترس ، وليس لهما فعل . فإذا اتفق من فعلٍ (اسم فاعل) فأنث مقترنا بالتاء ، فإنه اسم فاعل حقا دال على الحدث ، كقولك (امرأة عاشقة لزوجها مرضعة لطفلها) . ويقال انه جارٍ على الفعل أي مشابه له في الدلالة على الحدث والزمن ، هذا هو الأصل ، واذا اتفق من الفعل نفسه (فاعل)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فاستوى فيه التذكير والتأنيث فليس هو اسم فاعل ، وانما هو على النسب تقول (امرأة عاشق لزوجها مرضع لطفلها) وليس هو جاريا على فعله لأنه دال على الثبوت غير متعلق بزمن • وليس هو صفة مشبهة أيضا فلهذه أوزانها والأصل فيه ان تؤنث كاسم الفاعل ، والمنسوب صفة على (فاعل) وهو لا يؤنث •

قال الرضي في شرح الكافية (والأقرب •• ان يقال ان الأغلب في الفرق بين المذكر والمؤنث بالتاء هو الفعل بالاستقراء • ثم حمل اسم الفاعل والمفعول عليه لمشابهتها له لفظاً •• فألحق التاء للتأنيث كما يلحق الفعل • ومن ثم جاء على وزن الفاعل ما يقصد به مرة الحدوث ومرة الإطلاق ، وقصدوا الفرق بين المعنيين فأثبتوا بتاء التأنيث ما قصدوا به الحدوث الذي هو معنى الفعل كتأنيث الفعل لمشابهته له معنى ، بخلاف ما قصدوا فيه الإطلاق ، ليكون فرقاً بين المعنيين) • وقد أحل الرضي وصف (الإطلاق) محل (الثبوت) أو الاستمرار دلالة على عدم تعلق الصفة بزمن • فالعلماء على أن الثبوت هو استمرار الحدث في جميع الأزمنة وهو عند الرضي اتصاف الموصوف بالصفة إطلاقاً ، وليس هو أولى بزمن دون آخر حتى تدل عليه قرينة فتقول كان هذا حسنا فقبح ، أو سيصير حسنا ••

وخلاصة القول في (عَشِق) أنه لازم في الأصل ، والصفة منه (عشيق) بمعنى (الفاعل) وهو على الثبوت • أما المتعدي فتأتي منه الصفة على (عاشق) اسم فاعل على الحدوث ويؤنث بالتاء ، وعلى (عاشق) منسوباً ، على الثبوت فيستوي فيه التذكير والتأنيث • هذا وهناك (عشيق) من المتعدي بمعنى المفعول والأصل في تأنيثه حذف التاء اذا ذكر الموصوف ، و (عشيق) من اللازم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بمعنى الفاعل والأصل تأنيثه . وقل هذا لندرة اللازم واشتهر الأول لشيوع المتعدي كما اشتهر العاشق اسم فاعل ومنسوبا .

فقد صح بما تقدم أن عيار الصفة أن تعرض على الفعل اذ لايغني الباحث أن يعتمد في تعرفها على قول يحتج به ؛ بل لا بد له ان يلتمس ؛ فيما يتفق له من نصوص ، حال الفعل فيتبين مسراه في الوضع والاستعمال ، ويوضح الصلة بين الفعل من حيث لزومه وتعديه ، والصفة من حيث مبناها ومعناها ، مستعينا في البحث بما استقر في هذا الباب من ضوابط وقواعد ، فيقطع في الأمر برأي لا يعوزه تدبر ، ويقين لاخفاء به ولا ارتياب .

صلاح الدين الزعبلاوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net